

دَلَالَةُ التَّأْوِيلِ وَضَوَائِطُهُ فِي تَفْسِيرِ "أَضْوَاءِ الْبَيَانِ"

لمحمد الأمين الشنقيطي (ت: 1393هـ)

Interpretation's meanings and controls, in Tafsir "Adwaa al-Bayan" by Muhammad al-Amin al-Shanqeeti (d: 1393H)

خالد ضو*

جامعة الجزائر -1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية -خروبة، الجزائر،
k.dou@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2021/03/08 تاريخ القبول: 2021/06/16 تاريخ النشر: 2021/12/31

الملخص :

يدرسُ هذا البحثُ التأويلَ عند الشيخ الشنقيطي (ت: 1393هـ)، في تفسيره "أضواء البيان"، وتهدفُ الدِّراسةُ إلى تحديد دلالات مصطلح التأويل عند الشنقيطي، كما تهدفُ إلى استقراء ضوابط التأويل التي اعتمدها في كتابه، ومن أهم نتائج الدِّراسة أنَّ الدلالات اللغوية للتأويل عند الشنقيطي هي التفسير والشرح والحقيقة والمآل، كما أنَّ التأويل بمعناه الاصطلاحي يجب أن يكون وفق حدودٍ وضوابطٍ، وذلك لضمان الوصول للمعنى المقصود دون زيغ أو تحريف، ولدفع ما قد يكون من تلاعب بالتأويل فتنةً أو لنشر أفكار معينة.

الكلمات المفتاحية : تأويل؛ تفسير؛ أضواء البيان؛ الشنقيطي .

* المؤلف المرسل

Abstract:

This research studies the interpretation according to Sheikh al-Shanqeeti (d: 1393H) in his interpretation of “**Adwaa al-Bayan**”, the study aims to determine the meanings of the term interpretation according to al-Shanqeeti, and it aims to extrapolation the controls of interpretation that he adopted in his book. One of the most important results of the study is that the linguistic meanings of the interpretation according to al-Shanqeeti are the interpretation and explanation, the truth, and the fate.

In addition to that, interpretation in its idiomatic sense must be in accordance with limits and controls, in order to ensure access to the intended meaning, without aberration or alteration. And to push what may be the tamper in interpretation for the strife or spreading a specific thoughts.

Keywords: interpretation; Adwaa al-Bayan; al-Shanqeeti .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، حتى يبلغ الحمد منتهاه، والصلاة والسلام على النبي الأمين، محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فإن اللغة العربية واسعة الأفق كثيرة المباني، وعميقة الدلالات والمعاني، وهي لغة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:195]، واتساع اللغة جعل المفسرين يختلفون في تأويل بعض المعاني المقصودة الحقيقية منها والمجازية، ومن جميل مفارقات اللغة العربية أن المفسرين للقرآن الكريم اختلفوا في شرح كلمة التأويل نفسها وتحديد دلالتها.

إن القرآن الكريم معجزٌ بلفظه ومعناه، كما أنه منهج حياة، فلا بد من تقصي معانيه وإدراك مراميهِ، لذلك فالفقهَاء والمفسرون لا يفسرون اعتباراً، إنما جعل كل منهم ضوابطاً يعمل وفقاً في تأويل المعنى وبيان المقصد، وذلك لضمان الصواب أو الاقتراب منه قدر الإمكان، وتكون تلك الضوابط مستوحاة من القرآن نفسه أو من اللغة العربية، وهذه الدراسة ستعرض رؤية الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت:1393هـ) رحمه الله للتأويل وضوابطه .

أهمية الموضوع :

- تتجلى أهمية هذا الموضوع في عدة نقاط يُذكر منها :
- ارتباطه بأعظم العلوم وأجلها، ألا وهو علم القرآن الكريم.
- اشتماله على جملة من الفروع وهي اللغة والتفسير والفقه والتاريخ.
- اهتمامه بموضوع الدلالة الذي يشغل حيّزا واسعا في علوم اللغة.
- تعريفه بعلم من أعلام الفقه والتفسير في القرن السابق.
- دراسته لتفسير مهمّ جدا من التفاسير المعاصرة للقرآن الكريم.

إشكالية البحث :

تنطلق هذه الدراسة من الإشكال الآتي:

- ما دلالة التأويل وضوابطه عند الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان؟
ويندرجُ تحتها الأسئلة الفرعية الآتية:

- من هو محمد الأمين الشنقيطي؟
- ما علاقة الدلالة اللفظية بالتأويل والتفسير؟
- ما الضوابط التي اعتمدها الشنقيطي في التأويل؟

أهداف الدراسة : تهدفُ هذه الدراسة إلى الآتي:

- معرفة أصول التأويل وضوابطه من الناحية اللغوية والشرعية.
- بيان أهمية الدلالة في التفسير والتأويل، وشدة ارتباطهما بها.
- استنباط ضوابط التأويل عند الشنقيطي من خلال كتابه أضواء البيان.
- التعريف بالشنقيطي وكتابه في التفسير أضواء البيان.
- بيان شدة العلاقة والترابط بين التخصصات المختلفة.

منهج الدراسة:

أنُتِجَ في معالجة هذا المقال عدّة مناهج، وذلك كالآتي:

- المنهج التاريخي: وتمّ استخدامه في ترجمة صاحب التفسير وسرد شيء من أخباره.
- المنهج الوصفي: وتمّ استخدامه في التعريفات المقدمة لبعض المصطلحات.
- المنهج التحليلي: وتمّ استخدامه في استنباط بعض الأفكار من خلال تفسير الشنقيطي، واستعمالها فيما يخدم الدراسة.

خطة الدراسة:

للإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة، ولتحقيق أهداف البحث قُسمت هذه

الدراسة إلى عناصر، تتقدمها مُقدّمة، وتليها خاتمة، وتفصيلها كالآتي :

مقدمة: فيها أهمية الموضوع وإشكاليته وأهدافه ومنهج دراسته وخطة تقسيمه.

المطلب الأول : التعريف بمحمد الأمين الشنقيطي.

المطلب الثاني : تعريف التأويل وتمييزه عن التفسير.

المطلب الثالث : دلالة التأويل عند الشنقيطي.

المطلب الرابع : ضوابط التأويل عند الشنقيطي.

الخاتمة: وفيها أهمّ نتائج الدراسة، مع بعض التوصيات.

المطلب الأول : التعريف بمحمد الأمين الشنقيطي : (1325-1393هـ) :

الشنقيطي من علماء القرن الرابع عشر للهجرة، وله باع كبير في العلوم الشرعية، وفي العناصر الآتية تعريف موجز بنسبه ومولده، وعلمه ومؤلفاته، وذكرٌ لخبر وفاته.

1-نسبه ومولده:

هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، وُلِدَ بمنطقة شنقيط بموريتانيا سنة 1325هـ.¹

2-. علمه:

تعلم محمد الأمين الشنقيطي حيث وُلِدَ، وهو مفسر ومدرّس من علماء موريتانيا، وحجّ سنة 1367م، واستقر مُدرّساً في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة سنة 1381م.²

3- شيوخه وتلاميذه :

من شيوخه: محمد بن صالح، وأحمد بن مود الجكني، ومحمد بن النعمة، وغيرهم، كما أنّ للشيخ الشنقيطي تلاميذ كثر، منهم: عبد العزيز بن باز، وحامد الأنصاري، وغيرهم.³

4-مؤلفاته:

له مؤلفات منها: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، منع جواز المجاز، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، آداب البحث والمناظرة، ألفية في المنطق، رحلة خروجه من بلاده الى المدينة.⁴

وكتابه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن هو كتاب تفسير للقرآن الكريم، وهو محلّ هذه الدراسة، وفيه تسعة (9) أجزاء وفق طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1415هـ/ 1995م.

وقد اعتمد الشنقيطي في هذا الكتاب على تفسير القرآن بالقرآن أو التفسير بالمأثور؛ فكان يوضح المعنى الوارد في الآية من خلال آيات أخرى أو أحاديث نبوية، ولا يتعرض للرأي إلا نادراً، أو إذا لم يجد ما يعتمد عليه من الآيات والأحاديث.

5- وفاته:

تُوفي العلامة الشنقيطي في مكة سنة 1393هـ ما يوافق 1973م⁵، وقيل: توفي بعد أدائه لفريضة الحج في 17 ذي الحجة 1393هـ، الموافق ل: 10 يناير (جانفي) 1974م، وصُلِّي عليه بالمسجد الحرام، ودفن في مقبرة المعلاة بمكة.⁶

المطلب الثاني : تعريف التأويل وتمييزه عن التفسير:

إنّ معالجة موضوع دلالة التأويل يستوجب طرحا لمعنى التأويل لغة واصطلاحا.

1- التأويل لغة :

التَّأْوِيل من أَوَّل يُؤَوِّلُ تَأْوِيلًا، والثَّلَاثِيّ منه: آل يَأْوُل، أي رَجَعَ وَعَادَ، وسُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى عَنِ التَّأْوِيلِ؛ فَقَالَ: التَّأْوِيلُ والتَّغْيِيرُ، وَاحِدٌ، والتَّأْوِيلُ جَمْعٌ معانٍ مُشْكَلَةٌ بِلَفْظٍ وَاضِحٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ، يُقَالُ: أُلْتُ الشَّيْءَ: جَمَعْتُهُ وَأَصْلَحْتُهُ، يَقُولُ الْعَرَبُ: أَوَّلَ اللَّهِ عَلَيْكَ أَمْرُكَ، أي جَمَعَهُ، ويقولون إذا دَعَوْا عَلَى أَحَدٍ: لَا أَوَّلَ لِلَّهِ عَلَيْكَ شَيْءٌ، ويُقَالُ فِي الدُّعَاءِ لِلْمُضِلِّ: أَوَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ، أي رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ وَجَمَعَهَا لَكَ. ويُقَالُ: تَأَوَّلْتُ فِي فَلَانٍ الْأَجَرَ، أي تَحَرَّيْتَهُ وَطَلَبْتُهُ⁷، وقيل: التأويل هو الترجيع⁸، وقيل: التأويل هو تفسير ما يُؤَوَّلُ إليه الشيء، وقد أولته وتَأَوَّلْتَهُ تَأَوُّلاً⁹، فَالتَّأَوُّلُ والتَّأْوِيلُ هُوَ تَفْسِيرُ الْكَلَامِ الَّذِي تُخْتَلَفُ مَعَانِيهِ، وَلَا يَصَحُّ إِلَّا بِبَيَانٍ غَيْرِ لَفْظِهِ.¹⁰

ومنه أيضا: آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة، وأتالها وهو مؤتال لقومه مقاتل عليهم أي سائسٌ محتكم، قال زياد في خطبته: قد ألنا وإيل علينا، وأوّل القرآن وتأوله، وهذا متأول حسن: لطيف التأويل جدّا، ويقال أول الحكم إلى أهله: رَدّه إليهم، ومن الحجاز: فلان يؤول إلى كرم، ومالك تؤول إلى كتفك إذا انضم إليهما واجتمع، وطبخت الدواء حتى آل المنان منه إلى من واحد، ويُقَالُ: تقوى الله أحسن تأويلا أي عاقبة، وتأملته فتأولت فيه الخير أي توسّمته وتحريته¹¹، والتأويل هو انتهاء الشيء ومصيره وعاقبته وآخره.¹²

2- التأويل اصطلاحاً :

وردت جملة من التعريفات لمصطلح التأويل، يأتي بعضها في العناصر الآتية:

■ أصل التأويل النظر إلى ما تؤول عاقبة الأمر، فالتأويل رد كل شيء إلى أولية الأمر، فأخر كل فعل هو قصد في أوله، وقصد كل شيء في أوله هو آخر في فعله¹³، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: 39] أي: ما وعد الله أن يكون قبل أن يكون، وقال ابن عباس رضي الله عنه: تأويل القرآن بما يكون منه في الدنيا، وبما يكون منه يوم القيامة، وهو العذاب الذي وعد، وقيل ثوابه، وقيل: عاقبته.¹⁴

■ التأويل في الشرع هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الروم: 19]؛ إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل؛ كان تأويلاً.¹⁵

■ التأويل عند السلف له معنيان؛ الأول: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين، والثاني: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله الفعل المطلوب نفسه، وإن كان خبراً كان تأويله الشيء المُخْبَرُ به نفسه.¹⁶

■ التأويل عند المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتزن به.¹⁷

3- الفرق بين التفسير والتأويل :

اختلف العلماء في بيان معناه، فقال أبو عبيدة والمبرد: هما بمعنى واحد، وقال الراغب: التفسير من التأويل، وأكثر استعمال التفسير في الألفاظ والمفردات، وأكثر التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها، وقال البعض يختلف التفسير عن التأويل، والاختلاف في الآتي:¹⁸

- التفسير هو الإخبار عن أفراد آحاد الجملة، والتأويل الإخبار بمعنى الكلام.
- التفسير أفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل، والتأويل الإخبار بغرض المتكلم بكلام.
- تفسير الكلام أفراد آحاد الجملة ووضع كل شيء منها موضعه، والتأويل استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه يُحتمَل مجازاً أو حقيقة، لذا يقال تأويل المتشابه.
- التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهها واحداً، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة بما ظهر من الأدلة.

وقال الثعلبي التفسير إخبار عن دليل المراد، والتأويل إخبار عن حقيقة المراد، لأنَّ التفسير هو بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر، والتأويل هو تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر.¹⁹

وقال الماتريدي التفسير يرجع إلى الرواية، والتأويل يرجع إلى الدراية والاستنباط، لأنَّ التفسير هو القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه، والتأويل هو ترجيح أحد الاحتمالات بدون قطع، والشهادة على الله.²⁰

وعليه فالمفسر ما تقدم له تفسير، وما يفهم المراد منه بنفسه، وأصل التأويل في العربية من ألت إلى الشيء أوّل إليه إذا صرت إليه، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:7]، ولم يقل تفسيره لأنه أراد ما يؤول من المتشابه إلى المحكم.²¹

المطلب الثالث : دلالة التأويل عند الشنقيطي:

وردت كلمة التأويل عند الشنقيطي في كتابه أضواء البيان مراتٍ عديدة، ولا يعني إطلاقه لها أنها بمعناها الاصطلاحي، فقد كانت تأتي في السياق عنده بمعنى التفسير ومن ذلك قوله في بعض المواضع: "أهل التأويل"²²، كما أنه تكلم عن التأويل ودلالاته بشيء من التفصيل والبيان والتمثيل.

1- إطلاقات التأويل عند الشنقيطي:

قال الشنقيطي للتأويل ثلاثة إطلاقات وهي:²³

- التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الأمر، وهذا هو معناه في القرآن.
- التأويل يراد به التفسير والبيان، ومنه بهذا المعنى قوله ﷺ في ابن عباس رضي الله عنهما: «اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»²⁴، وقول ابن جرير وغيره من العلماء، القول في تأويل قوله تعالى: كذا وكذا أي: تفسيره وبيانه.
- التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك، وهذا هو معناه المتعارف عليه في اصطلاح الأصوليين.

2- معاني مصطلح التأويل عند الشنقيطي:

يختلف معنى التأويل في اللغة حسب السياق، وفي العناصر الآتية بعض الدلالات اللغوية للتأويل عند الشنقيطي في كتابه المذكور.

1- التأويل بمعنى التفسير والشرح :

قال الشنقيطي مُفسِّراً قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 101]

المراد بتأويل الأحاديث معرفة معاني كتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض وما اشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها، يفسرها لهم ويشرحها، ويدلهم على مودعات حكمها.²⁵

2- التأويل بمعنى الحقيقة:

قال الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

[يونس: 39]؛ التحقيق أن تأويله هنا، هو حقيقة ما يؤول إليه الأمر يوم القيامة، ويدل

لصحة هذا قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ

جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ﴾ [الأعراف: 53].²⁶

3- التأويل بمعنى المال :

قال الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35]؛

قال: أي مآلاً.²⁷

المطلب الرابع : ضوابط التأويل عند الشنقيطي :

التأويل بمعناه الاصطلاحي لا يكون إلا وفق حدود وضوابط، ومن الضوابط التي أقرها الشنقيطي لصرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى محتمل ما يأتي :

1- كون التأويل بدليل صحيح :

أورد الشنقيطي في كتابه أضواء البيان في مسألة من المسائل جملة من الأحاديث، ثم قال: "وفي مسلم روايات أخر بهذا المعنى قد اكتفينا منها بما ذكرنا، وهذه النصوص الصحيحة التي ذكرنا لا ينبغي العدول عنها، ولا تأويلها بغير مستند صحيح من كتاب أو سنة، ولذلك اخترنا ما جاء فيها... ولم نلتفت إلى قول من أقوال من خالف ذلك، ولا لتأويلهم للنصوص بغير مستند يجب الرجوع إليه، والعلم عند الله تعالى".²⁸

وفي هذا دلالة واضحة أنّ الرجل لا يؤوّل النص في الآية إلا بدليل، إذ لا يُعقل أنه يرفض التأويل بلا سند في الأحاديث النبوية ويقبله في القرآن الكريم.

وقال الشنقيطي في الكتاب نفسه: وحاصل تحرير مسألة التأويل عند أهل الأصول أنه لا يخلو من واحدة من ثلاث حالات:²⁹

الأولى: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح في نفس الأمر يدل على ذلك، وهذا هو التأويل الصحيح، والتأويل القريب، كقوله ﷺ : «الْجَارُ أَحَقُّ بِصَقْبِهِ»³⁰، فإن ظاهره المتبادر منه ثبوت الشفعة للجار، وحمل الجار في هذا الحديث على خصوص الشريك المقاسم حمل له على محتمل مرجوح، إلا أنه دل عليه حديث جابر رضي الله عنه، قال: «جعل رسول الله ﷺ الشفعة في كل مال لم يقسم، فإذا وَقَعَتِ الْخُدُودُ وَصُرِفَتِ الطُّرُقُ فَلَا شَفْعَةَ».³¹

الثانية: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً وليس بدليل في نفس الأمر، وهذا هو التأويل الفاسد، والتأويل البعيد، ومثّل له الشافعية والمالكية والحنابلة بحمل الإمام أبي حنيفة رحمه الله المرأة في قوله الحديث: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ»³² على المكاتب والصغيرة.

الثالثة: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا للدليل أصلاً، وهذا لعب وليس تأويلاً، كقول بعض الشيعة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: 67]؛ قالوا: يعني عائشة رضي الله عنها، وساء ما يقولون.

2- كون التأويل موافقا لوجه من وجوه اللغة العربية :

تكرّر كثيرا عند الشنقيطي قوله: "ونظيره من كلام العرب"³³، ويقول أحيانا: "وفي كلام العرب"³⁴ وقوله عند الترجيح: "المعروف في كلام العرب"³⁵، أو ما يُشتق منها من عبارات، وكل هذا يدلّ على اعتباره لأساليب اللغة في التأويل، ويستدلّ على القول الراجح في مواضع كثيرة بالراجح من وجوه اللغة، حيث قال في أحد المواضع ما نصّه: "وهذا القول هو أولى الأقوال بالصواب - فيما يظهر لي - لجريانه على اللغة التي نزل بها القرآن، وسلامته من التناقض، والله جل وعلا أعلم"³⁶، وفي موضع آخر في تأويل حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةِ أَجْرٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»³⁷؛ قال: "والراجح ما ذهب إليه الجمهور (قالوا: البكور هي الساعة الأولى من النهار) لعدّة أمور، أولا: في لفظ حديث البكور؛ لأن لفظ البكور لا يكون إلا لأول النهار، ولا يقال لما بعد الزوال بكور، بل يسمى عشيا، كما في قوله تعالى: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مرم: 11] وتكرار بَكَرَ، وابتكر، يدل على أنه في بكرة النهار وأوائله"³⁸، والشنقيطي هنا رجّح باعتبار المعنى اللغوي الغالب، وهذا يدلّ على اعتباره لأصول اللغة في التأويل .

3- عدم مخالفة التأويل للمُحْكَم :

أورد الشنقيطي قول ابن قدامة المقدسي (ت: 620هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7]، حيث قال: وصف من في قلوبهم زيغ باتباع المتشابهة وابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم في هذه الصفة، وهم الراسخون في العلم،

ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأول في ابتغاء التأويل، وإذا ثبت أنه غير معلوم التأويل لأحد فلا يجوز حمله.³⁹

ومن خلال السياق يتبين أنّ الشنقيطي ساق كلام ابن قدامة تأييداً، وهذا يعني أنّه يُشترطُ موافقة التأويل للمحكم، ومّا يؤيّد ذلك قوله في موضع آخر: "فكل ما ورد عنه مما يحتمل، فهو مردود إلى هذا المحكم منه بلفظه".⁴⁰

وقد ذهب كثير من الفقهاء والأصوليين إلى القول بهذا المعنى أو ما يؤيّدّه، أي وجوب ردّ المتشابه إلى المحكم ورفض التأويل الذي يخالف المحكم أو ينافيه، ومنهم:

- قال الرّازي (ت: 370هـ): "وسبيلُ المتشابه أن يُحمَل على المحكم ويُردّ إليه؛ لأن الله تعالى أمرنا بذلك، إذ جعلَ المحكم أمّا للمتشابه، وأمّ الشيء هي منها ابتداءً وإليها مرجعه".⁴¹

- قال ابن عقيل (ت: 513هـ): "وأما التأويل الذي لُقّب صاحبه بالزيغ، فإنّه الحملُ له على ما يوجبُ الاختلافَ والتناقضَ، أو تأويلُ ما يعودُ على المحكم بالنفي".⁴²

- قال الشاطبي (ت: 790هـ): في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7]؛ "جعل المحكم -وهو الواضح المعنى الذي لا إشكال فيه ولا اشتباه- هو الأم والأصل المرجوع إليه".⁴³

الخاتمة :

بفضل الله وفتحہ وتوفيقہ تمّ هذا البحث، وفي ختامه يُمكن عرض جملة من النتائج وتقديم بعض الاقتراحات؛ وذلك في العناصر الآتية :

النتائج:

- ✓ اختلف العلماء في معنى التأويل، فقال البعض هو والتفسير بمعنى واحد، وقال البعض: يختلف التأويل عن التفسير في كون الأخير أكثر استعمالاً في الألفاظ والمفردات، أما التأويل فأكثره في المعاني والجمل.
- ✓ قال الشنقيطي للتأويل ثلاثة إطلاقات، الأولى: الحقيقة التي يؤول إليها الأمر، الثانية: التفسير والبيان، الثالثة: صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل، فجمع بهذا المفاهيم المختلفة للتأويل عند المفسرين في ثلاثة أصول.
- ✓ لمصطلح التأويل عدّة دلالات في اللغة العربية، ومن الدلالات اللغوية للتأويل عند الشنقيطي من خلال كتابه أضواء البيان: يكون بمعنى التفسير والشرح، ويأتي بمعنى الحقيقة، ويكون بمعنى المآل، وهي أشهر دلالات التأويل في مذاهب المفسرين.
- ✓ التأويل هو بيان معنى اللفظ أو الكلام، وقد يكون موافقاً لظاهره أو مخالفاً له إلى معنى يحتمله حقيقة أو مجازاً، وهو بهذا المعنى مرادف للتفسير، وقيل التأويل هو صرف اللفظ إلى معنى غير ظاهر بقرينة دالة.
- ✓ التأويل بمعناه الاصطلاحي لا يكون إلا وفق حدود وضوابط ينبغي للمفسّر مراعاتها وعدم الحياد عنها، وذلك لضمان الوصول للمعنى المقصود دون زيغ أو تحريف، ولدفع ما قد يكون من تلاعب في التأويل زيغاً وفتنةً.
- ✓ من الضوابط الأساسية التي أقرّها الشنقيطي في كتاب أضواء البيان: كون التأويل بدليل صحيح، وكونه موافقاً لوجه من وجوه اللغة، وكونه لا يناقض المحكم من القرآن ولا ينفيه، وهذا ما أقرّه جمهور المفسرين.

التوصيات:

- ✓ اهتمام الباحثين في مجال الدلالة والاستدلال اللغوي بالقرآن وعلومه، إذ يُعدُّ مَعِينًا مُباركا بقوة لغته وسلامتها من كل شائبة في التركيب والمعنى.
- ✓ انفتاح الباحث نحو التخصصات الأخرى التي تخدم تخصصه، لتجنّب الجمود الفكري، واكتساب حقل من المصطلحات والأفكار.
- ✓ دراسة كتب التفسير وشروح الحديث دراسة دلالية، لإخراج مكنونات المعاني القرآنية والنبويّة الفصيحة من فهم المفسرين والشرّاح المختلفة.

- ¹ خير الدين الزركلي، الأعلام، ط. 15، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م، 6/.
- ويُنظر أيضاً: يوسف المرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، ط. 1، بيروت: دار المعرفة، 1427هـ/ 2006م، ص 1072.
- ² خير الدين الزركلي الدمشقي، المرجع السابق، 45/6.
- ويُنظر أيضاً: يوسف المرعشلي، المرجع السابق، ص 1072.
- ³ موقع ويكيبيديا (2021م)، تعريف محمد الأمين الشنقيطي، تاريخ آخر تعديل: 06/ 01/ 2021م، تاريخ الاطلاع: 19/ 01/ 2021م، على الساعة: 23:00. الرابط:
- https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_الأمين_الشنقيطي
- ⁴ خير الدين الزركلي الدمشقي، المرجع السابق، 45/6.
- ويُنظر أيضاً: يوسف المرعشلي، المرجع السابق، ص 1072.
- ⁵ خير الدين الزركلي الدمشقي، المرجع السابق، 45/6.
- ويُنظر أيضاً: يوسف المرعشلي، المرجع السابق، ص 1072.
- ⁶ موقع ويكيبيديا (2021م)، تعريف محمد الأمين الشنقيطي، تاريخ آخر تعديل: 06/ 01/ 2021م، تاريخ الاطلاع: 19/ 01/ 2021م، على الساعة: 23:00. الرابط:
- https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_الأمين_الشنقيطي
- ⁷ أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط. 1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م، 325/15.
- ⁸ الشريف الجرجاني، التعريفات، ط. 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ/ 1983م، ص 50.
- ⁹ الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط. 4، بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ/ 1987م، 1627/4.
- ¹⁰ أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، المرجع السابق، 325/15.
- ¹¹ الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط. 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/ 1998م، 39/1.
- ¹² ابن فارس، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط. 2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1406هـ/ 1986م، 107/1.
- ¹³ أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة). تحقيق: مجدي باسلوم، ط. 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1426هـ/ 2005م، 44/6.
- ¹⁴ المرجع نفسه، 6، ص 44.
- ¹⁵ الشريف الجرجاني، المرجع السابق، ص 50- 51.
- ¹⁶ محمد السيد حسين الذهبي. التفسير والمفسرون. (د.ط)، القاهرة: مكتبة وهبة، (د.ت)، 15/1.
- ¹⁷ محمد السيد حسين الذهبي. التفسير والمفسرون. (د.ط)، القاهرة: مكتبة وهبة، (د.ت)، 15/1.
- ¹⁸ أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط. 1، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بـ "قم": 1412هـ، ص 129- 130.
- ¹⁹ أبو منصور الماتريدي، المرجع السابق، 185/1.
- ²⁰ المرجع نفسه، 185/1.

- ²¹ أبو هلال الحسن العسكري، المرجع السابق، ص. 129-131.
- ²² محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (د.ط)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/ 1995م، 1/319/286/4/113/5/92/8.
- ²³ المرجع نفسه، 190/1.
- ²⁴ أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، الحديث رقم: 6280، 615/3.
- ²⁵ محمد الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، 202/2.
- ²⁶ المرجع نفسه، 156/2.
- ²⁷ المرجع نفسه، 455/8.
- ²⁸ المرجع نفسه، 504/5.
- ²⁹ المرجع نفسه، 190/1-191.
- ³⁰ أخرجه البخاري في صحيحه، باب في الهبة والشفعة، الحديث رقم: 6978، 27/9.
- ³¹ أخرجه البخاري في صحيحه، باب بيع الشريك من شريكه، الحديث رقم: 2213، 3، ص 79.
- ³² أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب النكاح، الحديث رقم: 2706، 182/2.
- ³³ محمد الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، 1/20، 1/71، 1/329/309/3، 82/4، وغير هذه المواضع الكثير.
- ³⁴ المرجع نفسه، 195/1، ج 2/192، 8/5، وغير هذه المواضع الكثير.
- ³⁵ المرجع نفسه، 1/474، 2/130، 2/172، 3/211، وغير هذه المواضع الكثير.
- ³⁶ المرجع نفسه، 268/4.
- ³⁷ أخرجه أبو داود في سننه، باب في الغسل للجمعة، الحديث رقم: 345، 259/1.
- ³⁸ محمد الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، 183/8.
- ³⁹ المرجع نفسه، 192/1.
- ويُنظر أيضاً: ابن قدامة المقدسي. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. ط. 2، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م، 1/216-217.
- 40- محمد الأمين الشنقيطي. المرجع السابق، 94/1.
- 41- أبو بكر الرازي الجصاص. الفصول في الأصول، ط. 2، الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية، 1414هـ/ 1994م، 1/373.
- 42- ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. 1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1420 هـ/ 1999م، 4/13.
- 43- الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. 1، القاهرة: دار ابن عفان، 1417هـ/ 1997م، 145/5.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت. 790هـ). الموافقات. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. 1، القاهرة-مصر: دار ابن عفا، 1417هـ/ 1997م.
- 2- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت. 538هـ). أساس البلاغة. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط. 1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1419هـ/ 1998م.
- 3- أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري. (ت. 513هـ). الواضح في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. 1، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ/ 1999م.
- 4- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت. 275هـ). سنن أبي داود. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، ط. 1، بيروت-لبنان: دار الرسالة العالمية، 1430هـ/ 2009م.
- 5- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت. 405هـ). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط. 1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1411هـ- 1990م.
- 6- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجامعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت. 620هـ). روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. ط. 2، بيروت-لبنان: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ- 2002م.
- 7- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت. 393هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط. 4، بيروت-لبنان: دار العلم للملايين، 1407هـ- 1987م.
- 8- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت. نحو 395هـ). معجم الفروق اللغوية. تحقيق: الشيخ بيت الله بيت، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط. 1، إيران: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ "قم"، 1412هـ.
- 9- أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحصاص الحنفي (ت. 370هـ). الفصول في الأصول. ط. 2، الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية، 1414هـ/ 1994م.
- 10- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت. 395هـ). مجمل اللغة. تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط. 2، بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة، 1406هـ/ 1986م.
- 11- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت. 1396هـ). الأعلام. ط. 15، بيروت-لبنان: دار العلم للملايين، 2002م.
- 12- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت. 816هـ). كتاب التعريفات. ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط. 1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1403هـ- 1983م.
- 13- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. (د.ط)، بيروت-لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ- 1995م.

- 14- محمد السيد حسين الذهبي (ت. 1398هـ)،، التفسير والمفسرون. (د.ط)، القاهرة-مصر: مكتبة وهبة، (د.ت).
- 15- محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (ت. 370هـ). تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب، ط. 1، بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي، 2001م.
- 16- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط. 1، بيروت-لبنان: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ.
- 17- محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت. 333هـ)،، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة). تحقيق: مجدي باسلوم، ط. 1، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، 1426هـ / 2005م.
- 18- يوسف المرعشلي. نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر. ط. 1، بيروت-لبنان: دار المعرفة، 1427هـ / 2006م.
- 19- موقع ويكيبيديا، تعريف محمد الأمين الشنقيطي، تاريخ الاطلاع: 19 / 01 / 2021م، على الساعة: 23:00. الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/محمد_الأمين_الشنقيطي